والنهار اي بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان ورابعها قوله تعالى
وما خلق الله في السموات من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك وما خلق
الله تعالى في الارض من حيوان وجبال وبحار وانهار واشجار وغير ذلك
فاقسام الحوادث الحادثة في هذا العالم محصورة في اربعة اقسام احدها
الاحوال الحادثة في هذه العناصر الاربعة ويدخل منها ويدخل فيها انواع
الرعد والبرق والسحاب والامطار ويدخل فيها ايضا البحار والصواعق والزلازل
والخسف وثانيها احوال المعادن وهي عجيبة كثيرة وثالثها اختلاف
النبات ورابعها اختلاف احوال الحيوانات وجملة هذه الاقسام الاربعة
داخلة في قوله تعالى وما خلق الله في السموات والارض والاستقصاء في
شرح هذه الاحوال لا يدخل تحت الحصر بل كلما ذكره العقلاء في احوال اقسام
هذا العالم فهو جزء مختصر من هذا الباب لآيات اي دلالات على قدرته
تعالى لقوم يتقون الله فان عملهم على الفكر والتذكر وخصهم بالذكر لانهم
المنتفعون بها قال القفال من تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا
مخلوقة لشقا الناس فيها وان خالقها وخالقهم ما اهملهم بل جعلها لهم
دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من امر ونهي ثم من ثواب وعقاب ليتميز المحسن
من المسيء فهذه الاحوال في الحقيقة دالة على صحة القول باثبات
المبدأ واثبات المعاد ولما اقام سبحانه وتعالى الدلائل القاهرة على صحة
القول باثبات الاله الرحيم الحكيم وعلى صحة القول بالمعاد والحشر
والنشر شرع في شرح احوال من يكفر بها وشرح احوال من يومن بها
وقد ابتدأ باولها ووصفه باربع صفات مبتدأ باولها بقوله تعالى
ان الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يخافونه لانكارهم البعث وما لهم بالمحسوسات
عما وراءها فهم يكذبون بالثواب والعقاب والرجا يكون بمعنى الخوف وبمعنى
الطمع فمن الاول قول العرب فلان لا يرجو فلانا بمعنى لا يخافه ومنه
قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول ابو ذويب الهذلي
اذا لسعته النحل لم يرج لسعها اي لم يخفها ومن الثاني قولهم فلانا يرجو
فلانا اي يطمع فيه والمعنى لا يطمعون في ثوابنا والصفة الثانية قوله
تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها فيعملون لها عمل المقيم فيها
مع ما يشاهدونه من سرعة زوالها منهمكين في لذاتها وزخارفها
وسكنوا سكون من لا ينزعج عنها والصفة الرابعة قوله تعالى والذين هم
عن آياتنا اي دلائل وحدانيتنا غافلون تاركون النظر فيها بمنزلة
الغافل عن الشيء الذي لا يخطر بباله طول عمره ذكر ذلك الشيء وبالجملة
فهذه الصفات دالة على شدة بعدهم عن طلب الاستعداد بالسعادات
الاخروية ويحتمل ان الصفة الاخيرة لفريق آخر ويكون المراد بالاولين

من انكر

من انكر البعث ولم يرد الا الحياة الدنيا وبالاخر من الهاه حب العاجل عن التامل
في الاجل والاعداد له ولما وصفهم الله تعالى بتلك الصفات قال اولئك
مأواهم النار بما كانوا يكسبون من الشرك والمعاصي ولما شرح احوال
المنكرين الجاحدين شرح تعالى من يومن بها فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
والاعمال الصالحات عبارة عن الاعمال التي تحمل النفس على ترك الدنيا
وطلب الآخرة والاعمال المذمومة ما تكون بالضد من ذلك يهديهم اي
يرشدهم ربهم بايمانهم اي بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يودي الى الجنة
او لما يريد وندب في الجنة او لادراك الحقايق كما قال صلى الله عليه وسلم
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقال مجاهد المومنون يكون لهم
نور يمشي بهم الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة
فيقول انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار ومفهوم ترتب الهداية على
الايمان والعمل الصالح قد دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح
لكن هل منطوق قوله جل وعلا بايمانهم على استقلال بالسببية وان العمل
الصالح كالتتمة والرديف ثم انه تعالى لما وصفهم بالايمان والاعمال الصالحة
ذكر بعد ذلك درجات كراماتهم ومراتب سعاداتهم وهي اربعة الاولى قوله
تعالى تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم اي يكونون جالسين على سرير
مرفوعة في البساتين والانهار تجري من بين ايديهم ينظرون اليها من اعالي اسرتهم
وقصورهم ونظيره قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا فهي ما كانت
قاعدة عليها ولكن المعنى بين يديك وكذا قوله وهذه الانهار تجري من تحتي
اي بين يدي فكذا هنا الثانية قوله تعالى دعواهم فيها قال بعض المفسرين
اي طلبهم لما يشتهون في الجنة ان يقولوا سبحانك اي ننزهك من كل سوء
ونقيصة اللهم اي يا الله فاذا ما طلبوه بين ايديهم على موايد كل مايدة ميل
في ميل على كل مايدة سبعون الف صحفة في كل صحفة لون من الطعام
لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله تعالى فذلك
قوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين او ان المراد بقوله
سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله
تعالى والثنا عليه بما هو اهله وفي هذا الذكر سرورهم وابتهاجهم
وكمال لذاتهم وهذا اولى ويدل عليه ما روي عن جابر رضي الله تعالى عنه انه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة ياكلون فيها
ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قال فما بال الطعام
قال جشا ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس
اي يخرج ذلك الطعام جشا وعرقا الثالثة قوله تعالى وتحيتهم فيما بينهم
وتحية الملايكة لهم فيها اي الجنة سلام وتاتيهم الملايكة ايضا من عند ربهم

Copyright © King Saud University